

تفسير البغوي

57 - { ورفعناه مكانا علينا } قيل : يعني الجنة وقيل : هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا .

وقيل : هو أنه رفع إلى السماء الرابعة .

روي أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي A أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المراج .

وكان سبب رفع إدريس [إلى السماء] على ما قاله كعب وغيره : أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال : يا رب أنا مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسماة عام في يوم واحد ! اللهم خف عنـه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال : يا رب ما الذي قضيت فيه ؟ فقال : إن عبدي إدريس سألني أن أخف عنك حملها وحرها فأجبته فقال : رب اجعل بيـني وبيـنه خـله فأذن له حتى أتـى إدريس فـكان يـسألـه إدريس فقال له : إني أخبرـتـكـ أـكرـمـ الـمـلـائـكـةـ وـأـمـكـنـهـ عـنـ مـلـكـ الـمـوـتـ فـاـشـفـعـ لـيـ إـلـيـهـ لـيـؤـخـرـ أـجـليـ فـأـزـدـادـ شـكـراـ وـعـبـادـةـ فـقـالـ الـمـلـكـ : لـاـ يـؤـخـرـ إـلـيـهـ نـفـسـاـ إـذـ جـاءـ أـجـلـهـ وـأـنـاـ مـكـلـمـهـ فـرـفـعـهـ إـلـىـ السـمـاءـ وـوـضـعـهـ عـنـدـ مـطـلـعـ الـشـمـسـ ثـمـ أـتـىـ مـلـكـ الـمـوـتـ فـقـالـ لـيـ حـاجـةـ إـلـيـكـ صـدـيقـ لـيـ مـنـ بـنـيـ آـدـمـ تـشـفـعـ بـيـ إـلـيـكـ لـتـؤـخـرـ أـجـلـهـ قـالـ : لـيـسـ ذـلـكـ إـلـيـ وـلـكـ إـنـ أـحـبـتـ أـعـلـمـتـهـ أـجـلـهـ فـيـقـدـمـ لـنـفـسـهـ قـالـ : نـعـمـ فـنـظـرـ فـيـ دـيـوـانـهـ فـقـالـ : إـنـكـ كـلـمـتـنـيـ فـيـ إـنـسـانـ مـاـ أـرـهـ يـمـوتـ أـبـداـ قـالـ : وـكـيـفـ ؟ـ قـالـ : لـاـ أـجـدـهـ يـمـوتـ إـلـاـ عـنـدـ مـطـلـعـ الـشـمـسـ قـالـ فـإـنـيـ أـتـيـتـكـ وـتـرـكـتـهـ هـنـاكـ قـالـ : فـاـنـطـلـقـ فـلـاـ أـرـاكـ تـجـدهـ إـلـاـ وـقـدـ مـاتـ فـوـاـ مـاـ بـقـيـ مـنـ أـجـلـ إـدـرـيـسـ شـيـءـ فـرـجـعـ الـمـلـكـ فـوـجـدـهـ مـيـتاـ .

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت ؟ فقال قوم : هو ميت وقال قوم : هو حي وقالوا : أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض : الخضر وإلياس واثنان في السماء : إدريس وعيسى .

وقال وهب : كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه D في زيارته فأذن له فأتاه في صورةبني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاثة ليال فأنكره إدريس فقال له الليلة الثالثة : إني أريد أن أعلم من أنت ؟ فقال : أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك قال : فلي إليك حاجة قال : وما هي ؟ قال : تقبض روحي فأوحى الله إليه أن أقبض روحه فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة قال له ملك الموت : ما في سؤالك من قبض الروح ؟ قال لأذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعدادا له

ثم قال إدريس له : إن لي إليك حاجة أخرى قال : وما هي ؟ قال : ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله في رفعه فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى قال : وما تريده ؟ قال : تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل ثم قال : مما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال ملك الموت : أخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال : لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكيمًا بينهما فقال له الملك : مالك لا تخرج ؟ قال : لأن الله تعالى قال { كل نفس ذائقه الموت } (آل عمران : 185) وقد ذقته وقال : { وإن منكم إلا واردتها } (مريم : 71) وقد وردتها وقال : { وما هم منها بمخرجين } (الحجر : 48) فلست أخرج فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمرني لا يخرج فهو حي هناك ذلك قوله تعالى : { ورفعناه مكانا عليا }